

مُنْجَبُور

الْخُلُودُ وَالْحِذَاءُ الْجَدِيدُ

كل شيء باهت وساكن .
واغوص في تجاعيد عينيك الدامعتين . واحدق باثلام جبينك . ثم ازحف بنظري
الى مسحة ضياء هارب من سواد المدينة .

اي شيء يبقى لنا ؟
واتحسس جدار صدرك قربي ، وارمي اليه خصلة من نفسي . على صدرك اثرُ
ندبة . وماذا ؟ من الافضل ان نخفق التساؤل اذا لم يجد . وانا اعرف كل ما مضى وكل
ما سيحدث .

اتعجب بعد لانني لا اقرر ، ولان المفكرة في حقيتي تظل خاوية . احفظها لأملأ
الفراغ ، ليس الا ؛ وعندما ينتهي العام اقدف بها عذراء . لست ادري لمساذا اكره ان
افتض بكاراة ورقة دون هدف .

وانت اكم انت بعيد عن مجاهلي . يوم عرفتك قلت لنفسي : « لماذا لا يكون لي
اب كهذا الرجل ؟ » وهمست في اذني المطعوجة على خدك : « لكن عمري ثلاثون
عاماً يا عبير ؛ ثلاثون عاما فقط . وانت في العشرين . لاكن لك اي شيء عدا الاب .
لاكن ... »

واذكر كيف غاصت عيناك في تجاويف التساؤل والتردد ، وكم ارتجفت الجوزة في
عنقك الطويل لان المكان كان حاراً مقبلاً . ومع هذا كنت اتنفس انا بسهولة ، بهدوء .
لا شيء يهز اعصابي . زملائي في الشركة يقولون انني بلا احساس ، اني حجر مرمر
على الكرسي ، اني كالتاول ، كالألة الكاتبة التي يثن فيها تحت يدي شيب الكبر . وانا
اضحك ، اهذي . انا اعرف كل ما مضى وكل ما سيحدث . لذا كنت اتنفس بسهولة ،

بهدهوء ، واميز بوضوح الشعرة البيضاء في شاربك الكثيف ، والبثرة الحمراء النابتة قرب
انعطاف انفك المتحدتي على خدك .

وعندما طرانا المنعطف المحاذي لبيتك في الزاروب الضيق حيث تبرع غرفتي الخشبية
بأبء وبرودة ، شددت على يدي المعضلة وقلت :

« احب ... احب ان اراك » .

ليس يكفي ان نحب . اقول هذا كلما ضحكت . لكنني لا اضحك الا في مواسمي .

تماماً كما لا تمطر السماء في بلادي الا في مواسمها . ليس يكفي ان نحب .

وتردد ابداً غرفتي صدى تنهدة بلا فروع . ثم ادخل ، اسعل ، واشعل المصباح .

واسرع اصب الماء في الابريق الفخاري المركز على كرسي خشبي مفخوت في الطشت

المجلف ، واغسل وجهي ويدي ، ثم اشم لزندي رائحة تبغ كالذي ترضعه انت

باستمرار . واغفو ، دون ان افكر ، دون ان احلم . انني اعرف كل ما مضى وكل ما

سيحدث . ومن العبث ان نخطط .

« لا » ، تقول لي عيناك ، « يجب ان نخطط . يجب ان تكوني لي يا عبير ، لي وحدي .

افيق على شعرك المفروش على الوسادة ، وعلى ارنبة انفك الصغير كأنف طفل مستقر .

يجب ان نقرر المصير ، فغداً يلزمنا عزم جديد غير هذا لنبي ، لنكدس الايام بقوة

وفائدة . اي نفع لصراعنا يا حبيبتني ؟ »

واضحك في موسمي .

اي نفع لصراعنا ؟ واي نفع لجروتك ايها القوي ؟ اي نفع لنظارتك السميكتين

وللشعرة البيضاء في شاربك الكثيف ؟

واضحك في موسمي ثم امضني . واعود اليك كل يوم . وفي الساعة نفسها . تماما كما

تعمل الآلة الكاتبة بدقة ، كما يعاو المصعد الخشبي الى طابقك الخامس دون ان يناقش

حركته . ولا انسى ان اذرت على وجه جارك السمين نظرة فارغة باسمه . وادخل . اسلم .

تضغط على اصابعي دون ان أحس . وازحزح الكرسي المحاذي لمكتبك واجلس ، ثم

ارفع قدمي اليمنى اسندها بركبتي اليسرى ، وارمي حقيبتني الرخيصة تغفو قرب حذائي .

وقبل ان امسح عرق جبيني بمنديلي الورقي الملولك ، احقق في وجهك قليلاً وابتسم ،

وابداً اسئلتني التقليدية عن صحتك وعملك ، وعن مصير كتابك الجديد - وانا لا ادري

إذا كان يهمني كتابك الجديد - عليّ فحسب ان ابرر تصرفي وزيارتي ، اريد ان ادع الرجل المزوي في الزاروب المجاور يعرف اني اتيت لاقول شيئاً ، لاعرف شيئاً .
وتسألني انت باستمرار :

« وانت ، هل عملت شيئاً ؟ »

« لا شيء ، طبعاً ، لا شيء . »

وتعود تسمّر عينيك على جيبيني : « ولم تقرري شيئاً ؟ »

« لا شيء ، طبعاً ، لا شيء . »

وكأنك تسألني ماذا اتيت تفعلين ؟ تغمض عينيك ، وتمضغ شفتك السفلى بكثير من الحقد ، ثم تصرخ بالصبي المنتظر خلف بابك : « قهوة يا صبي » ، وتعود الى فلفشة اوراقك ، الى مرمغة اوراقك ، الى خنق اوراقك . وفي رأسك اسلاك تدور ، تدور ، وتلتقي . ثم تبصق على شفتك آهة ، وعلى انفك رغبة رغاء للحكّ والتمسّح .

واسألك : « هل كتبت اليوم ؟ »

« ابدأ . »

« هل عملت اليوم ؟ »

« ابدأ . »

وتصمني الى صدرك عند المساء : « ابدأ يا عبير . بدونك لا شيء . لا شيء جفاف انا . صنم . ليس لي وجود . »

واضحك في موسمي : « لكنني عطشى ، واشواك الصبير على لساني تغلق اذني وتصمني . »

« ما اروحك ! لهذا احبك يا حلوتي ، يا غنية الاحلام والرؤى . »

واضحك في موسمي ، وأغبت كل ليلة من المحل المشلوح عند الزاوية شرقة مرطّب وامشي . خطاك خلفي ، قربي ، امامي . لا حدود . تقول :

« لي - لي اريدك . اريد ان اسيح الجمود بعينيك . اتسمعين ؟ »

(لماذا تسيّت امس ان اسيح كدس الشمع واصبّ منه شمعة ؟)

« اريد ان انطلق ، ان اعطي . لقد خنفتني نتن الجمود . »

(ولماذا لم افتح نافذتي الشرقية حتى اقتل رائحة الخبء عندي والرطوبة ؟)

« سأبني قصرآ لك دربه من رخام . »

نسيت ان اغطي جورة الوحل قرب مدخلي بالحصى حتى لا اعود اقشر كعب
حذائي كل يوم .

« هل توافقين يا عبير ؟ قولي نعم . قولي . اموت انا ، احترق . اريد ان انطلق .
بدونك لا شيء انا . منذ ايام طويلة لم اعط ، لم اكتب . كتابي لن ينتهي . انا قلت
مدمر . قولي نعم . »

واضحك في موسمي : « ربما . »

وتثور انت : « اخنتي هذه الرما . قولي نعم . نعم . دعيني ابدأ وانطلق . »
« ربما . »

« اسكتي يا عبير ... اخرسي . انت من غير احساس . »
« ربما . »

وتزعق انت : « أمجنونة أنت ؟ »
« ربما . »

« وتتابرين ؟ »
« ربما . »

وتصرخ تهزني : « هل انت ميتة ؟ »

واخنتك تناؤبتي العريضة : « ربما .. رب .. ما . »

وتغوص قدمي في جورة الوحل قرب المدخل ، ويحمر حذائي . وقبل ان انطوي
اسمعك تقول :

« فكري والا سامضي ، سأنتحر . »

واضحك في موسمي ، ثم اصب كتل الشمع شمعة جبارة اضيئها . واغسل يدي في
الطشت المجلف . وبعدها اغفو استفتيق . واشعر ان للبرد اضراسا قوية ، فاقوم ، واعد
اشعل الشمعة فتنطفئ . واشعلها وتنطفئ . واشعلها وتنطفئ : النافذة تحطم فيها
الزجاج . وعلبة الثقاب فرغت . ولحافي تمزق غطاؤه وخف . ومعطفي ذاقه العث
واستطيه . البرد يقرص انفي بقسوة . واعد اتمدد ، اتكوكر ، اغفو .

وتقول لي في الصباح : « هل فكرت ؟ »

« ربما . »

« لعلك تلذذت بالدفء وغفوت ، فقد كان المساء بارداً . »

« ربما » .

« لكنني لم اغفُ انا يا حبيبي ، لم انم : فكرتُ فيكِ باستمرار . تخيلتكِ تغفين قربي لاهثة . دفؤك يطرد عني الجمود » .

(لماذا لم الهت امس على اصابع يدي حتى تدفأ ؟)

« وحلمتُ انك تفيقين في الصباح ، فاركع واصب في شفئكِ القهوة التركية التي

تحبين » .

(منذ ايام لم اذق القهوة في غرفتي لان طبأخي بدون نפט) .

« ورأيتك تتعلقين بعنقي ، وتمرغين صدري بالقبل » .

(كيف نسيت ان اشترى طلاء لامعاً لشفتي ؟)

« وحلمت ايضاً انني انكب على مؤلفي بفتح واكتب ، واعطي ، ويصفق لي الجميع ،

ويضحك لي الجميع . ويقول لي ناشري الكبير : سافخر بك يا صديقي » .

(صاحب الشركة قال انه اصبح بغنى عن كسلي ابتداء من الاثنين) .

زفرت . تنهدت . فغمرتني بصدرك ولهت بوجهي : « هل قررت يا صغيرتي ؟

قولي نعم . سأحقق لك كل هذا . سأبني لك بيتا يطل على القمر والبحر وستشعرين

معي بالدفء والاستقرار . وساخلص اصابعك هذه الالهية من العمل لانها لشفتي خلقت .

ساعبدك يا عبير . ساخلدك . سأهديك كل مؤلفاتي ، كل حرف اكتبه » .

وضحكتُ في موسمي .

« قولي نعم يا حبيبي . دعيني ابدأ . دعيني اعانق الوجود . دعيني احيا » .

واستدرت نحو قفائي . ورأيتُ حذائي الملوّث بالتراب يستغيث . والالم ينقر رؤوس

اصابعي بجنق .

« قولي نعم . دعيني ابدأ » .

« وأيضاً ستشترى لي خذاء ؟ »

« سأشترى لك الخلود » .

« اريد خذاء » .

« لك ما تشائين . قولي نعم » .

وضحكتُ في موسمي .

وقلتُ : « نعم » .

قبل سنين ، حينما كنا نمرّ امام ساحة ترفلغار ، كنا نجمد فيها كل مرة ، وكانت تقول : « ها انت » ، وتشير الى نصب نلسون السامق الراسخ ، ثم تشير الى احدى الحمامات العابرة وتضيف : « وها انا » . وكل مرة كانت تغيب ، كانت تعود لخاطري صورة النصب والحمامة . في احدى فترات غيابها كتبتُ هذه المقاطع المخرقة في الرومنطيقية ، وقرأتها عليها ، بلغتها ، عندما عادت . ولما غابت بعدها من جديد كان غيابها آخر غياب . فانها لم تكن حمامة وحسب ، بل كانتها وكانت غرابا .

ع . ا .

أسعد عاصي آثار أقدم

من هذا العلوّ الشاهق انظر . لا ارى الناس . والحافلات والمباني غبّش متحرك وساكن . وانا جامد في هذا العلاء ، عاجز حتى عن الدوار . ولم اكن ، من قبل ، اعرف ان في الصخر ايضاً درجات ، فاذا بالحمامة الغريبة تترك الصخر الذي صُنعتُ منه ، حين تولّي ، اصلب منه بالامس . واذا ذاكرتي كعيني ، نصفها ميتة ، وكلّ ما لا يتصل بالحمامة الغريبة مُضاع .

من تحتي المظاهراتُ والهتافات العنيفة ، والعاشقون والباحثون وعن يعشقون ، والمصورون والنشالون والشرطةُ ، والاجانب والمواطنون ؛ وعن قريب القصورُ والمجالس والمتاحف والكنائس ،